ردّ شامير على رسالة بوش، وانْ لم يتضمّن استعداداً للقبول بالمقترحات الاميركية لعقد المؤتمر، الّا انه لم يتضمّن، أيضاً، «لا» قاطعة وواضحة لتلك المقترحات (المصدر نفسه). فقد «حرص شامير» ـ حسب المعلّق الصحفي حامي شاليف ـ «عند ارسال ردّه السلبي على رسالة الرئيس بوش، على عدم اغلاق الباب تماماً». وأوضح شامير، في رسالته الجوابية، أسباب معارضة اسرائيل لمشاركة الامم المتحدة في عملية السلام ولاستمرارية المؤتمر، «لكنه تجنّب القول، بشكل لا يقبل التأويل، ان اسرائيل ترفض المقترحات الاميركية في هذا الشأن. فالعكس هو الصحيح. فالوزير بيكر، على الاقل، يعتقد بأن في يديه وعداً صلباً من شامير بأن يبتلع المقترحات الاميركية، بما فيها من مرارة، اذا قبلت سوريا بها. ففي الزيارة الاخيرة للوزير بيكر الى المنطقة، قال شامير للوزير الاميركي: 'اولاً احضر العرب. بعد ذلك عد الينا، وستتحقق من اننا لسنا الرافضين'» (دافار، ١٦/٧/١٩٩١).

في ضوء ما تقدّم، لا بدّ من طرح السؤال التالي: هل ان رفض شامير الردّ بالايجاب على المقترحات الاميركية، كان من باب حرصه على ألّا يكون أول القابلين، خشية ان يؤدي ذلك الى ازدياد شهية العرب ومطالبتهم بالمزيد من «التنازلات»، أم ان قوله للوزير بيكر «أولاً، احضر العرب» كان مجرّد مناورة، أساسها «تقديره (أو توقّعه!) ان السوريين سوف يسحبون البساط من تحت أقدام الاميركيين؟» (عكيفا ايلدار، هآرتس، ٢٣/٧/١٩٩١).

المعلّق الصحفي حامي شاليف رجّح الاحتمال الثاني، فكتب: «هذه الكوميديا [المقصود سخرية أوساط شامير من الانباء التي كانت تتحدّث عن احتمال صدور ردّ سوري ايجابي على المقترحات الاميركية] كان يفترض ان تنتهي نهاية سعيدة، على شكل ردّ سوري سلبي، أو، على الاقل، لا ردّ بتاتاً، وبعد ذلك كانت اسرائيل سترتسم كمنارة للأغيار، وكمحبّة للسلام، وفي بناء صهيون ستجد العزاء في عون الربّ والضمانات الاميركية بالطبع» (دافار، ١٦/٧/١٩٩١). وأضاف شاليف: «ولكن، بدلاً من هذه النهاية السعيدة المتوقّعة، كانت نهاية مأساوية، وضعت اسرائيل في ضائقة سياسية من أصعب ما عرفته حتى الآن» (المصدر نفسه).

عودة الزخم

مع ان الردّ السوري الايجابي على رسالة الرئيس بوش ومقترحاته لعقد المؤتمر الاقليمي للسلام لم يكن يحظى بنسبة عالية من الترجيح في تقديرات الأوساط المقرّبة من رئيس الحكومة الاسرائيلية، وربما لديه أيضاً، الّا انه لا يجب ان ينظر اليه كمفاجأة غير متوقّعة. فعلى امتداد الاسابيع الفاصلة بين ارسال بوش لرسائله الى زعماء المنطقة، والى حين الاعلان عن استلام الردّ السوري، ووصفه بأنه «ايجابي» من قبل المسؤولين الاميركيين، كان هناك الكثير من المؤشرات الى احتمال صدور ردّ سوري ايجابي على رسالة الرئيس الاميركي. فعلى حدّ قول مصادر سياسية في القدس، فان السفير الاميركي في دمشق، ادوارد جيرجيان، كان شريكاً نشطاً، على امتداد الاسابيع الستة الاخيرة، في صياغة ردّ الرئيس حافظ الأسد على رسالة الرئيس الاميركي، بهدف ان يمكّن ذلك الردّ الرئيس بوش من مواصلة العملية السياسية في الشرق الاوسط. وأضافت تلك المصادر ان مضمون الردّ السوري الايجابي على المقترحات الاميركية تمّت بلورته، عملياً، بعد مباركة سورية من حيث المبدأ، خلال الاتصالات الهادئة التي قامت بها واشنطن قبل ارسال الرئيس بوش رسائله الى زعماء المنطقة (هآرتس، ١٥/٧/١٩٩١). من ناحية أخرى، كانت هناك مؤشرات الى احتمال حصول تغيّر في الموقف السوري قبل الاعلان، رسمياً، عن وصول ذلك الردّ الى واشنطن. فوزير الخارجية الاسرائيلية، دافيد ليفي، قال انه تولّد لديه انطباع من محادثاته مع مسؤولين اوروبيين ان تغيّراً وشيكاً سوف يطرأ على الموقف السوري، وان هناك توجّهاً للردّ بالايجاب على رسالة الرئيس بوش والمقترحات التي تضمّنتها (المصدر نفسه، ٧/٦/١٩٩١).

وكانت أوساط اسرائيلية أعربت عن اعتقادها، قبيل قيام شامير بالردّ على رسالة الرئيس بوش، بأن مصير المبادرة الاميركية والعملية السياسية في الشرق الاوسط، أصبح يتوقّف على ردّ كل من سوريا واسرائيل على رسالة الرئيس الاميركي ومقترحاته للتقدّم في اتجاه عقد المؤتمر الاقليمي للسلام (دافار، ٤/٦/١٩٩١). واذا كان ردّ شامير السلبي قد